ينابيع الفكر التربوى ومعطياته فى تربية الطفولة

إعداد

أ.د/ سهام محمد بدر

كلية رياض الأطفال

جامعة الإسكندرية

مجلة رعاية وتنمية الطفولة - جامعة المنصورة

العدد (٣) – المجلد (١) – ٢٠٠٥م

ينابيع الفكر التربوى ومعطياته فى تربية الطفولة

إن الأخـذ بالمعطـيات العلمـية فى مجال رعاية الطفولة وتربيتها أمر حتمى ، خاصة ونحن نعيش الألفية الثالثة . فأحد المعايير الأساسية التى يقاس بها مدى تقدم الأمم فى عالمنا المعاصر هى الاهتمام بالطفولة .

لقـد حظيـت قضـية الطفولـة على مر العصور ولا تزال ، باهتمام المفكرين والعلمـاء والمربين والمسئولين ، وظهرت فلسفات وآراء ومذاهب فى تربية الأطفال توارثـناها ، ظهرت بين الحين والآخر تحت مسميات ونظريات ومنهجيات متعددة ، ولكنها جميعاً تدور حول تربية الطفولة ورعايتها ، سواء فى الشرق أو الغرب .

ويمكـن القـول أن ما قدمته الدراسات الغربية فى العصر الحديث ، خاصة مع بدايـة القـرن العشرين من نتائج علمية ، قد جاءت لتؤكد وترسخ عديداً من الآراء والمذاهـب لأبـرز المفكريـن الغربيين فى القرن السابع عشر. فالاهتمام الذى أولاه القس "كومينيوس" Y.A. Comenins (١٥٩٢ – ١٦٧١) للطفولة فى عصره ، قد فـتح نـافذة أطـل منها ذوو الفكر فى أوروبا على عالم جديد للطفولة . إلا أن هذه الآراء لـم تجـد لها صدى إلا مع أواخر القرن السابع عشر والتاسع عشر وظهور علمـاء مـن أبـرزهم جـان جـاك رسو J. J. Rousseau (١٥٩٢ – ١٧٧٨م) ، وبسـتالوتزى J. H. Pestalozzi (١٧٤٦ – ١٨٢٧م) ، وفـروبل F.W. Frobel (١٧٨٢ – ١٨٥٢) وغيرهم .

لقـد ظهرت اتجاهات تربوية متعددة ، عنيت بالآراء والنظريات ووجهات النظر المرتبطة بالفكر والعقل الإنسانى ، وانبثقت من فلسفات متعددة ، فنرى أن من أقربها إلى هذا المجال هما :

- الفلسفة الطبيعية
- الفلسفة البرجماتية.

ـ أمـــا الفلســـفة الطبيعية ، فقد ظهرت على يد المفكر الفرنسى "رسو"، والذى اعتـبر من زعماء الحركة الرومانتيكية ، حيث اتسمت آراؤه بالخيالية إلى حد كبير، إلا أنـــه وضـــع أسساً تربوية متعددة ، من أبرزها ، المناداة بتعلم الطفل من الطبيعة ومن خلال تجاربه وخبراته الشخصية . كما أكد على الاهتمام بفهم المربيين لنفسية الطفل ، واعتبار أن دورهم لا يتعدى الملاحظة والتوجيه كذلك فقد أرسى مبدءاً هاماً فـــى التربـــية، وهـــو مراعاة الفروق الفردية والذى اعتبره مبدأ من مبادئ الطبيعة الإنســـانية. لقـــد أكد رسو على اعتبار الطفل هو محور ونقطة الارتكاز فى التربية . فأرســـى بذلـــك الاتجـــاه النفسى فى التربية وسار على دربة من بعده الكثيرين أمثال بستالوتزى وفروبل وغيرهم.

بذلـــك فقـــد أصـــبح الطفـــل هو مركز الاهتمام، مما جعله يتخذ كمحور للعملية التربوية Child Centered Education أى أن الطفل يكيف مسار التربية ومحتواها ، بما يتفق وعقليته ونظرته إلى الحياة.

ـ أمـــا الفلسفة البرجماتية ، والذى يعد من أشهر فلاسفتها "سيربيرس " ووليم جـــيمس جون ديوى ، فهى تهدف إلى التأكيد على التعليم من خلال العمل والممارسة كذلـــك فقد أرست المبدأ التربوى الهام الذى يجعل الطفل محور العملية التربوية التى لا تهـــدف التربية فيها الى إعداده للحياة ، بل هى الحياة ذاتها. من ثم فقد أكدت على اكتســـاب الطفـــل للخـــبرات المباشرة من البيئة المحيطة به ، وربطت بذلك بين بيئة الطفل المحيطة والمجتمع.

مـــن ثـــم فقـــد ارسى علماء الغرب من خلال ما طرحته هذه الفلسفات ، دعائم وأســـس للتربـــية فـــى مرحلة الطفولة المبكرة، التى أكدت على خصوصيتها . ولقد أبرزت أن نمو الطفل لا يتحقق إلا من خلال الطبيعة الزاخرة بإمكانات تربوية تعليمية مـــتعددة، تســـاعده علـــى التوصل إلى حقائق الأشياء وخصائصها ، وما يسير عليه العـــالم الطبيعى من مبادئ وقوانين تحقق نموه العقلى بصفة خاصة ونموه فى جميع النواحى بصفة عامة.

كذلك فقد اهتم علماء الغرب ببناء شخصية الطفل وفرديته ، فى إطار الهدف التربوى العريض وهو النمو المتكامل، بمراعاة الفوارق والإختلافات، فى استعداداته وقدراته ، وتنميتها إلى أقصى حد ممكن ، بما يتلاءم مع ميوله ورغباته ويشبع حاجاته، مما يتطلب المرونة والتنوع فيما نقدمه له من أنشطة وخبرات ، وما نهيئه من بيئة تربوية صالحة.

لقد اهتم علماء الغرب بالتناغم فى جميع جوانب النمو، وأعطوا اهتماماً خاصاً بتنمية الحواس والتربية الحسية، وحرصوا على تكوين الأخلاق وغرس القيم السليمة ، واحترام العمل ، وتنمية التذوق الجمالى.

ويمكن القول أن معظم العلماء فى الغرب قد اهتموا كثيراً بدافعية الطفل الذاتية التى ينشأ عنها النشاط الموجه الذاتى الذى يبادر به الطفل ، وأكدوا على أن الدافعية الذاتية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالانضباط الذاتى Self- discipline ولا تتعارض معه نهائياً.

لقد ارسوا بذلك الاتجاه المعاصر فى تعلم وتعليم طفل ما قبل المدرسة، ألا وهو "التعلم الذاتى والنشاط التلقائى " الذى أسفر عن اتجاهين فى تعليم الطفولة المبكرة وهما:

أولاً : أن نقطة البدء فى تعليم الطفل، هى ما يمكنه القيام به ، لا مالا يمكن أداؤه .

ثانياً: أن تعلم الطفل ينظر إليه على أنه تفاعل بين الطفل وبيئته (المربين وغيرهم).

لقد خلف لنا الفلاسفة وعلماء النفس والتربية الغربيين تراثاً فكرياً لا يستهان به ، كان له اكبر الأثر فى تربية الطفولة وتعليمها، إلا أن ما قدمه هؤلاء الرواد من فكر ، وما تضمنه هذا الفكر من مبادئ وآراء ، قد أخذ صوراً متعددة ، منها من أخذ الطابع النظرى المجرد وصيغ فى لغة وصفية حجبتها الممارسة والتطبيق ، ومنها ما صيغ بصورة اكتنفها الغموض، وعازها التعبير عنها بوضوح ، ومنهم من أخضعها للميدان، وقدمها بصورة علمية فاعله.

كمـــا أن الـــتطور المذهـــل لعلم النفس التكوينى وعلم النفس التعليمى ، أثرهما الكبـــير فى ترسيخ الاتجاهات المعاصرة فى تربية الطفولة وتعليمها. لقد ركزت هذه الاتجاهـــات على الاهتمام بدراسة خصائص الطفل وطبيعته وتفكيره، باعتبار الصغير هـــو محور العملية وهدفها . لقد اهتمت بمبدأ تنمية إمكانات الطفل الفطرية من خلال مواقـــف حياتية يعيشها ، تستخدم فيها حاجاته البيولوجية والنفسية كدوافع للتعلم ، وتســـتخدم فيها اهتماماته كأساس لاختيار موضوعات التعلم ومواقفه ، فتتحقق بذلك أهـــداف التربـــية ، متمـــثلة فى التنمية الفردية الذاتية ، ومتلازمة مع تنميته تنمية اجتماعية ومجتمعية.

كذلـــك فـــإن الثورة الكبيرة التى أحدثتها نتائج الدراسات العلمية والتجريبية فى مجال المناهج والبرامج الخاصة بالطفولة – وخاصة فى نهاية القرنيين التاسع عشر والعشـــرين – ونشـــرها ، والأخـــذ بهـــا فى العديد من دول العالم من خلال متابعة مـــا يحدث فى العالم من تطورات ، ومن خلال المنظمات العالمية المعنية بالطفولة قد أحدثت تغيراً كبيراً وملموساً فى هذه المناهج والبرامج. لقد شمل هذا التغيير فلسفتها وأهدافها، ومضامينها ، وطرائق وأساليب تقديمها ، والمعلمة المنوط بها القيام بدور التربـــية والتعلـــيم لأطفالهـــا ، وخاصة فى مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية (رياض الأطفال)، التى أصبحت مرحلة لها خصوصيتها وسماتها المميزة .

لقـــد أصـــبحت ريـــاض الأطفال ، مرحلة تستند الى العلم الذى ينظم وسائلها ، ويضـــع المـــبادئ والـــنظريات التى ينبغى السير على هديها ، والفن الذى لا يجيده إلا من حباه الله القدرة على التعامل الجيد مع طفلها.

إجمـــالاً لقـــد تغـــيرت النظرة الى هذه المرحلة، وأصبحت نظره تربوية شمولية مـــتكاملة. فالرعاية التربوية بمعناها الواسع تعنى أن تلقى المعرفة والعلم لا يعدو أن يكـــون جزء لا يتجزأ من التنمية الشاملة لشتى جوانب شخصية الطفل... تلك التربية التى هى الأصل والهدف.

لقـــد أجمعـــت آراء معظـــم العلمـــاء فـــى الغرب ومن أبرزهم فروبل Frobel ومنتســـورى Montessorie ، وشـــتاينر Steiner أن مرحلة الطفولة المبكرة ، هى

مـــرحلة قائمـــة بذاتهـــا ، لها خصوصيتها ، وأكدوا على وجوب النظر الى الطفولة، كحالـــة تختلف عن الرشد ، تأخذ من المجتمع كما تعطى له بطريقتها الخاصة ، فهى مرحلة حقيقية صادقة فى حد ذاتها ، لها القدرة على أن تضيف وأن تتلقى وتأخذ.

كذلـــك فقد أكد هربارت Herbert على أهمية فهم طبيعة هذه المرحلة وملاءمة مـــا يقـــدم للطفل وما يستخدم من طرائق مع قدراته وميوله . أن فى هذا تأكيد على اهتمام علماء الغرب بمراعاة مبدأ الفروق الفردية وتحقيق النمو المتمايز.

ويؤكـــد فـــى هذا الصدد ما ذكره العالم شتاينر، من أن الهدف من التنمية ليس فقط التمايز بل أيضاً التناغم فى كل جوانب النمو.

مـــن ثـــم يمكـــن القول أن معظم العلماء الغربيين قد اهتموا بثوابت تربوية فى العملية التربوية ، ألا وهى:

الـــتكامل والـــتوازن والتـــناغم ونـــادوا بأن يأخذها المخططون التربويون بعين الاعتـــبار، وأن يعمـــل المنفذون فى الميدان على ترسيخها ، لإقامة العملية التربوية علـــى أســـس جديدة، تميز مرحلة الطفولة المبكرة فلسفة ومنهاجاً عن بقية مراحل النمو الإنسانى.

وتـــتلازم العملية التربوية مع العملية التعليمية فى هذه المرحلة وتتجانس. لقد وضـــع علـــم النفس ونظرياته، المحددات الأساسية لعملية التعلم والتعليم فى رياض الأطفـــال ، انطلاقـــاً من الأسس النفسية لتعلم الطفل التى أرساها عديد من المفكرين والمربيـــن المســـلمين أيضاً أمثال الغزالى وابن خلدون وابن مسكوبه وابن سينا فى كـــتاباتهم ، وكذلـــك علمـــاء الغـــرب فى العصر الحديث أمثال رسو (التعلم من خلال الطبيعة) ، وهربارت (النظرية الجشتالتية فى التعلم)، وفروبل ومنتسورى (التعلم عن طريق اللعب)، وجون ديوى (التعلم بالعمل)، وسكنر وغيره (نظرية التعزيز الإيجابى للســـلوك)، وبياجيه وبرونر (نظرية النمو المعرفى وتكوين المفاهيم) وبياجيه (النمو يقود التعلم)، وفيجوتسكى (التعلم ينبغى أن يقود النمو).

كذلك فإن المرحلة السنية لطفل الروضة وقوانين النمو التى تحكمها ، ومراعاة مبدأ الفروق الفردية ، أصبحت الموجه الرئيسى لمعلم هذه المرحلة فى اختياره للنظريات التى سيتبعها فى عملية التعلم ، وما يرتبط بها من أساليب وطرائق للتعلم ومن ثم فقد تغيرت النظرة التقليدية إلى التعلم والتعليم فى هذه المرحلة وأصبحت من أهم معالمها:

- أن النمو الإنسانى Human Development الكلى هو إطار العمل التربوى.
- أن التعلم ينظر إليه على أنه تغير نمائى Learning as Developmental Change ، مستنداً هنا إلى أعمال جان بياجيه وزملائه من (١٩٦٩ – ١٩٧٠م) وجون ديوى من (١٩٣٣-١٩٦٣) ، فكلاهما ينظر إلى النمو الإنسانى على أنه يحدث بشكل تدريجى ، خلال سلسلة من المراحل المتتابعة المرتبة.
- أن التعلم النشط التفاعلى Active Learning هو الطريق لبناء الأطفال لمعارفهم، ومحقق لمبدأ الفروق لديهم.
- أن التعلم النشط هو عملية عقلية فيزيائية مركبة A Complex Physical and Mental Process Active Learning تؤكد الاختلاف بين تفكير الأطفال عن تفكير الكبار. إن هذا التعلم ينظر إليه على انه تفاعل بين الطفل وبيئته (تعامل مع الأشياء – وتفاعل مع الأفراد والأحداث). وهنا يستند التعلم النشط الى أربعة عناصر حرجة:

أ- العمل المباشر مع الأشياء وغيرها Direct Action On Objects

ب- ردود الأفعال أو الانعكاس على الأفعال Reflection On Actions ، والذى يتضمن النشاط الفيزيائى ثم العقلى (التعامل مع الأشياء ثم التفكير فيها).

ج- تحرك الدوافع الداخلية، التجريب ، الاستكشاف وبناء المعرفة الجديدة ، Interinsi Motivation , Invention and Generativity المبنية على التفكير والاستيعاب وفهم من حولهم.

د- حـــل المشكلات Problem Solving ، أى ما توصل إليه الأطفال من نتائج حاسمة تعمل على تطوير قدراتهم على التفكير والسببية .

- أن للبالغيـــن دوراً فى توفير البيئة الغنية بالخبرات الأساسية المنظمة والمخططة لتحقيق أهداف التعلم النشط.
- هناك بصفة خاصة فترات اكثر تقبلاً للتعلم فى مراحل النمو المختلفة .
- أن الدافعـــية الذاتية التى ينشأ عنها نشاط موجه ذاتياً يبادر به الطفل، لها أهميتها الخاصة.
- هناك حياة داخلية للطفل، تظهر بصفة خاصة فى ظل الظروف المواتية للتعلم والتعليم.
- أن نقطـــة البدء فى تعليم الطفل هى ما يمكنه القيام به ، لا مالا يمكنه أداءه .
- أن التعلم لا يمكن عزل جوانبه عن بعضها، فكل الأشياء تترابط .
- أن الـــتعلم النشـــط يحتاج إلى أدوات وألعاب مناسبة للغرض ولأعمار الأطفـــال، متعددة ومتنوعة، تعمل على تطوير مهاراتهم التى ستمكنهم مـــن الممارســـة والعمـــل الذاتـــى، وحـــل المشاكل الأكثر تعقيداً التى تواجههم.
- الـــتعلم النشـــط يتـــيح الفرص للأطفال للتحدث عن خبراتهم الخاصة، وفهمهم لها ، الذى يتميز غالباً بمنظور يختلف عما يعتقده البالغون.
- التعلم النشط مصدراً أساسى لتطور ثقة الطفل بنفسه.
- الـــتعلم النشط تهيئة للعمل والدراسة بالمرحلة الابتدائية ، فالأطفال قد تعلموا وعرفوا ماذا يستطيعون، وكيف يعملون.

لقد استطاعت هذه النظرة العلمية الى الطفل وإلى تعلمه وتعليمه ، إلى تغير ملموس من الاتجاهات والحقائق والأساليب المرتبطة بتطوير وتجويد ما يقدم فى مجال التعلم والتعليم فى رياض الأطفال المعاصرة، والتى أكدت مبدأ "أساسى هو":

أن ما يقدم من محتوى وطرائق ووسائل وتقنيات فى رياض الأطفال ، يجب أن ينطلق من الإحاطة العلمية الدقيقة بخصائص الطفولة وحاجاتها ، ومستلزمات تنميتها إلى أقصى حد ممكن . فالاهتمام الأكبر موجه الى التنمية الشاملة المتكاملة للطفل من خلال التعلم النشط والنشاط الذاتى للطفل ، الذى يعتمد على الإمكانات النمائية لدى الطفل ، وأكدوا كذلك على إتاحة الفرص البيئية الملائمة فى الوقت المناسب ، التى تزيد من دافعية الطفل للتعلم وإحراز التقدم. لقد أكدت العالمة برنجلر Pringler هذا المعنى عندما ذكرت أن القوة الدافعة على التعلم والرغبة فيه تكمن جذورها فى نوعية العلاقات المتاحة للطفل منذ بداية حياته. ومن ثم فإنها تؤكد جانب الدافعية الذاتية، الا انها تؤكد أيضاً العلاقات الاجتماعية كميكانزم يوجه الرغبة فى التعلم.

أما أعمال بياجيه ، فقد كان لها توجه مختلف الى حد ما عن توجه "برنجلر" ، فهو يؤكد الدافعية الذاتية ، لكنه يؤكد أيضاً تنظيم الذات Self-regulation، والذى يطلق عليه عملية تحقيق التوازن أو الاتزان Equilibration ، وهذه العملية لها جانبان هما:

- التمثيل أو الاستيعاب Assimilation
- المواءمة أو التكيف Accommodation .

<u>عملية التمثيل أو الاستيعاب</u> ، يعتقد بياجيه أن الطفل يقوم باستيعاب الخبرات ، كما يتمثلها فى هيكل معرفى Schemata قائم لديه ، أو خطط انتهاجيه قائمة Structure

<u>أما عملية التكيف أو المواءمة</u> ، ففيها يتم تعديل الهياكل المعرفية القائمة ، والتى سبق أن تم استيعابها ، بحيث تتواءم مع الخبرات الجديدة التى لا تتفق وهذه الهياكل أو الخطط الانتهاجية القائمة. ووفقاً للمفهوم السابق لبياجيه ، يصبح الأطفال

مدعـون ذاتـياً طـوال حياتهم، من خلال تلك القدرة إلى تنظيم الذات، وعملية الدفع الذاتـى . ويدخـل فـى عملـية تنظـيم الذات والدفع الذاتى هذه قدر من الانفعالات المتنوعة.

ويمكـن القـول أنه على الرغم من الاختلافات النسبية بين وجهات نظر كل من برنجلـر وبياجية إلا أن الدافعية الذاتية ، والتى ينشأ عنها المبادرة والنشاط الموجه ذاتياً، قد نالت اهتماماً كبيراً فى آرائهما.

أمـا فيجوتسكى، فيرى أن إحداث التوازن بين مبادرات الطفل ومبادرات الراشد (المـربى) أمـر شاق، فقد أوضح الفارق بين تدخل الراشد لمساعدة الطفل ، وتدخل الراشد فى نشاط الطفل Interfereg Intervene . كذلك فهو يرى أن هناك فارقاً بين تـرك الطفـل يفعـل مـا يشاء ، ومساعدة الطفل لأن يبادر ، ويبدأ ، وينمى أفكاره الخاصـة ويـتخذ قـراراته ويقـوم بالاختيار . ولعل آراء فيجوتسكى ، تخدم مربى الطفولـة المـبكرة فـى تشـجيع نشاط الطفل الموجه ذاتياً وتؤكد أن اللعب من أهم المجالات التى ينمى فيها الطفل المبادأة والمبادرة ، ونشاطه الموجه ذاتياً ، إلا أنه قد حدد درجة تدخل الراشدين بالعون ، وفقاً لمجريات الأمور.

لقـد تلاقـت أفكـار عديد من العلماء الغربيين على عدة مبادئ أساسية خاصة بتعليم الطفولة المبكرة ، نلخصها فى اتجاهين.

ـ <u>الاتجـاه الأول</u>: والـذى يعتـبر أن نقطة البدء فى تعليم الطفل هو ما يمكنه القيام به، لا مالا يمكنه أداءه (كما ذكرنا مسبقاً) وهذا الاتجاه يؤكد فروبل فى تعليقة الشـهير : "ابـدأ حيـث يكـون المتعلم"، فهو يرى أن العاب الطفل تنبه الراشد الى مـا يمكن القيام به، والى ما هو بحاجة اليه لكى نساند تعلمه فى هذه المرحلة .وقد أكـدت هذا منتسورى عندما ذكرت: (أن ملاحظة الأطفال هامة) لكى نتبين ما يمكنهم القيام به ثم نبدأ البناء بعد ذلك .

ويؤيـد رودلف شتينر Steiner آراء كل من فروبل ومنتسورى بالنسبة لأهمية الملاحظـة والبناء، بدءاً بما يمكن القيام به لكى نفيد أقصى ما يمكننا من كل مرحلة

مـــن مـــراحل الـــنمو ، وأن يعمل المربى مع الطفل لا أن يعمل ضد ما هو طبيعى، وهكذا . وتبرز هنا اهمية اعداد البيئة التعليمية للطفل وتصميمها ، بحيث تتيح للمعلم او المـــربى ان يبـــنى علـــى نقاط القوة لدى الطفل ، وأن يتم من خلالها التعلم تحت توجيهه وإشرافه بمهارة ودراية.

ـ أمـــا الإتجاه الثانى: فإنه ينظر إلى تعليم الطفل كتفاعل بين الطفل والبيئة من حوله،وبصـــفة خاصـــة الأشـــخاص والآخرين والمعارف نفسها، فهو يؤكد اتجاهات العديـــد من العلماء الغربيين على أن البيئة المادية المحيطة بالطفل فى تفاعل مستمر مـــع قوى النضج الداخلى فى الطفل فيساعده على تحقيق ذاته ونمو شخصيته وتلبية حاجاته النفسية ومطالب نموه، فالمتعلم يقوم بدور إيجابى وفعال تحت توجيه المربى وإرشـــاده والذى يوفر له المناخ النفسى المناسب ، الذى يساعده فيه على الانطلاق والتعبـــير عن الذات ومواجهته مواقف الإحباط ، وتحمل المسئولية والشعور بالنجاح وتكويـــن مفهوم الذات الإيجابى. كما يحقق نمو الطفل الإجتماعى، من خلال ما يعده المـــربى مـــن أنشـــطة ، تســـاعد على إعداد الطفل لمواجهه مطالب حياة الجماعة، فيكتسب الاتجاهات الاجتماعية والإيجابية.

خـــتاماً يمكن القول أن الفترة من القرن السابع عشر حتى العشرين ، هى فترة حظـــى بها الطفل – وخاصة فى مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية – باهتمام كبير من جانب العلماء والمربين فى الدول الغربية.

لقـــد أرســـو القواعـــد الـــتربوية لمرحلة الطفولة بصفة عامة ومرحلة الطفولة المـــبكرة (مـــرحلة ريـــاض الأطفـــال) بصفة خاصة، وبرزت العناية المنهجية بهذه المـــرحلة ، وارتكـــزت علـــى نتائج الدراسات والبحوث العلمية ، ومن ثم فقد تغيرت الـــنظرة إلى الطفل والمرحلة . ولم يحدث ذلك فجأة ، بل جاء مبنياً على أفكار وآراء كل من العلماء المسلمين والغربيين.

فعلـــى الرغم من أن العناية المنهجية بالطفولة وتربيتها هو كشف علمى حديث فـــى تـــاريخ الإنســـانية ، لم يعرفها العالم الغربى إلا قبل نهايات القرن السابع عشر

وما بعده، إلا أن أصول هذه العناية قد ظهرت فى التراث الإسلامى منذ طور كبير منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، مع قدوم الإسلام.

لقد ظهر الإسلام فى شبة الجزيرة العربية، فى القرن السابع الميلادى ، واعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المصدرين الأصليين والمنبع الأساسى للفكر التربوى الإسلامى ، وهناك أيضاً مصادر أخرى مثل العديد من الأفكار والاتجاهات لكثير من المفكرين والمربيين والفلاسفة والعلماء. لقد تميزت العصور الوسطى بالفتوحات الإسلامية وانتعاش الفكر ونشاط التأليف والتجديد ، واستمر ذلك حتى القرن الثالث عشر الميلادى، وانتهى تدريجياً بانتهاء الحكم فى الأندلس.

وعندما نتدبر ما جاء فى القرآن الكريم من آيات وما ورد من أحاديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما حواه التراث الفكرى الإسلامى لفلاسفة وفقهاء المسلمين وأدبائهم ومؤرخيهم أمثال "ابن سينا" "والجاحظ" و"ابن خلدون" و "ابن رشد"، وغيرهم كثيرون ، نجد أن المسلمين قد خرجوا بنظرية تربوية إسلامية ، مستلهمة من مضمون مصدرى – التشريع الإسلامى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم – يظهر فيها اثر ما قاموا به من دراسات وجهد واستنباط من واقع خبراتهم العملية خلال هذه العصور الوسطى.

وعندما نستعرض ما قامت عليه هذه النظرية التربوية الإسلامية ، من مبادئ واتجاهات وقيم تربوية، يتضح لنا مدى سبق المفكرين المسلمين لعصرهم فى هذا المجال ، حيث نجد ان مبادئ التربية الإسلامية تتفق مع ما ينادى به رواد التربية المعاصرة فى مجال الفكر والتطبيق فى العالم.

لقد اتفق كلا من العلماء الغربيون والمسلمون على أهم الأسس التى يجب أن ترتكز عليها تربية الطفولة ، خاصة فى السنوات المبكرة التى تقع مرحلة رياض الأطفال من نطاقها ، فكلاهما راعا:

- الاهتمام بطبيعة الطفل وبالفروق الفردية وخصائص النمو. فاهتموا بتحقيق التربية الشاملة المتكاملة من جميع النواحى ، إلا أن علماء

المسلمين ، قد أعطوا التربية الأخلاقية اهتماماً خاصاً ، اذا اعتبروها جوهر التربية وأساسها، بينما أهتم معظم العلماء فى الغرب بهذا الجانب أيضاً .

- أعطى كل من العلماء المسلمين والغربيين أهمية خاصة بالتربية وأساليب التعلم والتعليم، واعتبروا الأصل فى الإدراك هو المحسوسات الكائنة فى البيئة الطبيعية المحيطة، إلا أنها قد أخذت منحى علمياً أعمق من علماء الغرب، الذين وضعوا منهجية علمية لأساليب التعلم والتعليم فى هذه المرحلة ، وأكدوا فيها الجوانب النفسية والاجتماعية للعملية التربوية التعليمية فى هذه المرحلة ، وأهمية التناسق والتكامل بينهما .

لقد أثمر الفكر الغربى من خلال نظرياته ودراسات علمائه ومفكريه عن الاتجاه المعاصر فى تعلم وتعليم الطفل ، فأكدوا على التعلم النشط ، الذى يتسم بالذاتية والتلقائية ، ويعتمد على فاعلية الطفل ونشاطه فى التعلم حتى يصبح لما يتعلمه معنى لديه وجعل البيئة بكل مكوناتها مختبراً يمارس فيه الأطفال مختلف أنشطتهم تحت إرشادات المربين وتوجيهاتهم، التى تنطلق من الطفل:

هادياً ومرشداً ومحوراً

تدور حوله العملية التربوية بجميع عناصرها وأهدافها .

ومسايرة لهذا الاتجاه المعاصر فى تربية الطفولة وتعليمها ، فإننى أدعو الباحثين والعلماء فى جمهورية مصر العربية إلى إجراء المزيد من الدراسات والبحوث فى مجال "التعلم الذاتى" أو "التعلم النشط فى مرحلة الطفولة المبكرة وخاصة مرحلة رياض الأطفال.